فصل المقال في شرح كتاب الأمثال

باب الانتفاع بالصدق والمخافة من عاقبة الكذب .

قال أبو عبيد : من أمثالهم فيما يخاف من مغبّة الكذب قولهم " لَيْسَ لِمَكْذُوبٍ رَأْيٌ " وكان المفضل بن محمد الضبي فيما بلغني عنه يُحَدِّثُ أَنَّ صَاحِبَ هَذَا الْمَثَلِ هُوَ الْعَنْبِرُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ تَمِيمٍ بْنِ مَرْقَالَةَ لَابِنْتِهِ الْهَيْجُمَانَةَ . وَذَلِكَ أَنَّ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ سَعْدِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ تَمِيمٍ كَانَ يَزُورُهَا فَنَهَاها قَوْمُهَا عَنْ ذَلِكَ فَأَبَى حَتَّى وَقَعَتِ الْحَرْبُ بَيْنَ قَوْمِهِ وَقَوْمِهَا فَأَغَارَ عَلَيْهِمْ عَبْدِ شَمْسِ فِي جَيْشِهِ فَعَلِمَتْ بِهِ الْهَيْجُمَانَةُ فَأَخْبَرَتْ أَبَاهَا وَقَدْ كَانُوا يَعْرِفُونَ إِعْجَابَ الْهَيْجُمَانَةَ بِهِ كإِعْجَابِهِ بِهَا . فَلَمَّا وَقَلَّتْ هَذِهِ الْمَقَالَةُ لِأَبِيهَا قَالَ مَازِنُ بْنُ مَالِكِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ تَمِيمٍ " حَنْدُتُفْلَا تَهَنْدُتْ وَأَنْسَى وَأَنْسَى لَكَ مَقْرُوعٌ " وَهُوَ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ سَعْدِ كَانَ يَلْقَبُ بِهِ - فَقَالَ لَهَا أَبُوهَا عِنْدَ ذَلِكَ : أَيُّ بَنِيهِ أَصْدَقِيْنِي أَكْذَلِكُ هُوَ فَإِنَّهُ لَا رَأْيَ لِمَكْذُوبٍ فَقَالَتْ : " ثَكَلَاتُكَ إِنْ لَمْ أَكُنْ صَدَقْتُكَ فَالْآنُ وَلا إِخَالُكَ زَاجِياً " فَذَهَبَتْ كَلِمَتُهُ وَكَلِمَتُهَا وَكَلِمَةُ مَازِنِ أَمْثَالاً .

قال أبو عبيد : ومن أمثالهم فيما يخاف من غب الكذب قولهم : " لا يَكْذُوبُ الرَّسَّاءُ إِدُّ أَهْلَاهُ " وَهُوَ الَّذِي يُقَدِّمُونَهُ لِيَرْتَادَ لَهُمْ كَلًّا أَوْ مَنْزِلًا أَوْ مَوْضِعَ حَرَزٍ يَلْجَأُونَ إِلَيْهِ مِنْ عَدُوِّ يَطْلُبُهُمْ فَإِنْ كَذَبَهُمْ أَوْ غَرَّهُمْ صَارَ تَدْبِيرَهُمْ عَى خِلافِ الصَّوَابِ فَكَانَتْ فِيهِ هَلَكَتُهُمْ . قال أبو عبيد : ومثل العامة في هذا قولهم " الْكَذِبُ دَاءٌ وَالصِّدْقُ شِفَاءٌ " وذلك ان المصدوق يعمل على تقدير يكون فيه مصيباً وأن المكذوب على ضد ذلك